عدد 18- ديسمبر 2002، ص.ص. 63-78

رواد علم الاجتماع والمسائل الدولية

ملخص

يعالج هذا المقال مدى اهتمام رواد علم الاجتماع بالظواهر الدولية. هذا الاهتمام بالمسائل الدولية وإن لم يكن في نفس درجة الاهتمام بالظواهر الاجتماعية على المستوى الوطني والمحلي، إلا أنه يعد ذا قيمة بالغة من حيث أنه يبين لنا أن هؤلاء الرواد لم يولوا ظهورهم لما كان يحدث على المستوى العالمي. وهنا تكمن قيمة هذا المقال الذي نقدم فيه قراءة جديدة في تراث رواد علم الاجتماع.

د/عبد الرحمان برقوق
قسم علم الاجتماع
جامعة محمد خيضر
بسكرة، الجزائر

لا يزال البـاحثون والدارسون في علـم الاجتماع منطوون على أنفسهم بالاكتفاء بدراسة الظواهر الاجتماعية التي تطفو بداخل الحدود الوطنية. هذا الموقف جعل البعض ممن ينتمون إلى مجالات معرفية أخرى يتهمونهم بالجمود، بل إن عالم السياسة الفرنسي "مارسيل ميرل" Marcel Merle قد تساءل عن سبب عدم محاولة علماء الاجتماع اقتحام المجال الدولي ودراسة الظواهر الدولية بمنظار سوسيولوجي.

ومما يزيد من جدية وخطورة هذا الاتهام هو أن المشتغلين والمهتمين بعلم الاجتماع لم يدركوا بعد أن الرواد قد اهتموا بالمسائل الدولية والواقع الدولي كما سنرى في هذا المقال.

Résumé

Cet article traite de l'intérêt qu'ont prêté les précurseurs de la sociologie aux phénomènes internationaux. Cet intérêt aux questions internationales, malgré qu'il n'ait pas atteint le même degré que celui prêté aux phénomènes sociaux au niveau national et local, est sans aucun doute d'une grande importance puisqu'il nous montre que ces précurseurs n'ont pas totalement ignorés ce qui se passait à l'échelle mondiale. L'intérêt de cet article s'inscrit dans une nouvelle lecture aux écrits des précurseurs de la sociologie.

1- عبد الرحمان ابن خلدون: (1332-1406)

حتى لا نقع في خطيئة "المركزية الأوربية" أو الغربية، نرى أن اسم ابن خلدون يعد نقطة الانطلاق الملائمة للوقوف على مدى اهتمام رواد علم الاجتماع بالمسائل الدولية. ونحن لا نسعى بذلك اتباع "مودة الوقت"، ولكننا نود التذكير بنصيحة "ماكس شيلر" (Max Scheler) الذي يرفض "المنهج الأوربي" عند إقامة "علم اجتماع للمعرفة" (1).

فإن كانت عبارة علم الاجتماع قد استخدمت لأول مرة من طرف "أوجست كونت"

© جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر2002.

للتعبير عن مشروع دراسة المجتمع الجديد الصناعي الرأسمالي فإن أب علم الاجتماع هو ابن خلدون الذي أطلق على هذا العلم اسم **"العمران البشري"** منذ القرن الرابع عشر.

فابن خلدون كان من أشهر علماء الاجتماع الذين قدموا نظرية عامة في تفسير نشأة المجتمعات وتطورها من خلال الاستعانة بالمماثلة العضوية. فهو يشبه مراحل تطور المجتمعات ويقيسها بمراحل عمر الإنسان المختلفة. ففي الطور الأول، وهي تماثل مرحلة طفولة الإنسان، يكون المجتمع صغير الحجم وغير قادر على التحكم في الظروف البيئية المحيطة به. ويصفها بأنها مرحلة التوحش، وعندما يبدأ بتحقيق فوائض تساعده على المعيشة، تزداد قدراته وخصوصا العسكرية منها، فيقوم بإخضاع المجتمعات الأخرى القريبة، فتظهر الممالك، وهو المرحلة التي يبدأ السكان فيها بالاستقرار وتنظيم معيشتهم، وشبهها ابن خلدون بمرحلة الشباب عند الإنسان.

ومع مرور الوقت يتجه الناس نحو الاستهلاك وحياة الترف، فيلجئون إلى استخدام من ينوب عنهم في الصنائع والحرف المختلفة، وكذلك من يقوم بالدفاع عنهم، وهي تشبه مرحلة الشيخوخة عند الإنسان، والتي يبدأ فيها كيان المجتمع بالانهيار التدريجي لكي تظهر مجتمعات أخرى فتية تفرض سيطرتها على المدن والأقاليم. وهكذا تستمر المجتمعات في عملية مستمرة من النمو التي تتلوها مراحل الانهيار(2).

نلاحظ مما سبق مفهوما أساسيا ذا علاقة بالظاهرة الدولية وهو مفهوم "القدرة العسكرية" التي تزداد في المرحلة الثانية من نمو المجتمعات التي تستخدمها لإخضاع مجتمعات أخرى قريبة منها.

والحديث عن القدرة العسكرية يقودنا إلى رؤية ابن خلدون للحروب وهي مسألة ترتبط بصفة مباشرة بمعنى التحليلات التي نحن بصدد القيام بها حول مدى اهتمام رواد علم الاجتماع بالظواهر الدولية. ويخصص الكاتب لموضوع الحرب الفصل السابع والثلاثون من مقدمته حيث يقول: "إن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض [...] والحرب أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة ولا جيل.

وسبب هذا الانتقام في الأكثر: إما غيرة ومنافسة، وإما عدوان، وإما غضب لله ولدينه وإما غضب للملك وسعي في تمهيده [...].

فهذه أربعة أصناف من الحروب: الصنفان الأولان منها حروب بغي وفتنة، والصنفان الأخيران حروب جهاد وعدل" (3).

من خلال هذه الفقرة يبدو لنا جليا سيطرة اقتناع ابن خلدون ببشاعة الحروب سواء كانت لأسباب عادلة أو غير عادلة وهي تدخل ضمن النظرة المتشائمة للمجتمع الدولي في مقابل النظرة المتفائلة له وهي نظرة وإن كانت ضعيفة إلا أنها هامة. بعبارة أخرى يمكن إدراج نظرة ابن خلدون ضمن التيار الواقعي في مقابل التيار المثالي.

2- أوجست كونت :(1798-1857)

يقول أوجست كونت: "إن مختلف الوسائل العامة للاستغلال العقلاني المستخدمة في

البحوث السياسية قد أثبتت بشكل واضح الاتجاه البدائي المحتوم للبشرية نحو حياة عسكرية في الأساس، ونحو وجهة ذات طابع صناعي وهكذا فلا يوجد أدنى ذكاء نقدي لا يعترف بشكل صريح بالتناقص المتزايد للروح العسكرية والتزايد التدريجي للروح الصناعية كوعي مزدوج ضروري لتطورنا والذي اعترفت به الفلسفة السياسية" (4).

إن هذه الفقرة تحتوي على أهم أفكار كونت حول موضوع العلاقات الدولية. فكلها جاءت بشكل منظم حول ما يسميه بقانون المراحل الثلاث الذي هو محور تفكيره. بالفعل يكتسي كل من التطور التاريخي للبشرية والتطور الفردي، حسب "كونت"، معنى كاملا كعملية تعلم للروح الوضعية: من المرحلة اللاهوتية إلى المرحلة الميتافيزيقية ومن هذه إلى المرحلة الوضعية (5).

وفي هذا الإطار يقول "نيقولا تيماشيف": "قد أقام كونت مجموعة من الارتباطات خلال مناقشته المطولة لنمو طليعة الإنسانية" -وهي أكثر المجتمعات تقدما- بين المراحل العقلية الأساسية (اللاهوتية، الميتافيزيقية والوضعية) ومراحل تقدم الحياة المادية للإنسان ونموها (العسكرية، التشريعية والصناعية)، وأشكال الوحدات الاجتماعية (الأسرة، الدولة والإنسانية)، وأنماط النظام الاجتماعي (منزلي، جمعي وعالمي) والمشاعر السائدة أو الغالبة (المحبة والتعلق والاحترام والتوقير والإحسان والخير)" (6).

وابتداء من القانون الثالث تصبح النتيجة واضحة. فتوسع الروح الوضعية يؤدي بالضرورة إلى السلام. ففيها تسود مجتمعات متمركزة حول تنمية ثرواتها بفضل الثروة والنمو التقني وترشيد العمل: فالمستقبل سيكون مليء بالتقدم تجاه النظام والسلم بين الأمم. ولكي يتحقق هذا الهدف يجب مواصلة الكفاح ومحاربة مخلفات المرحلة اللاهوتية والمرحلة الميتافزيقية والتخلص من المجتمعات الحربية. فالمستقبل محدد بضرورة ترشيد الروح الوضعية والمجتمع الصناعي. ففي هذا المجتمع، كل الناس يصبحون عمالا، والعمال يصبحون مواطنين، وكل المواطنين يصبحون أعضاء في المجموعة الدولية للعمل (7).

3- سان سيمون (1760-1825)

يرى سان سيمون أن المجتمع الناشئ يختلف عن كل أشكال المجتمعات الأخرى. فهو يقول: "بينما كان المجتمع الإقطاعي متوجها نحو الحرب والدفاع الخاص، وكان يبحث في استمراره وإعادة إنتاجه فقط، فإننا نجد المجتمع الصناعي يعمل على رفع الإنتاج وكسب معارف جديدة" (8).

وهو يرى أن كل المجتمعات الإنسانية تنتظم في أنساق اجتماعية منسجمة وأن نشاطها موجه لإنجاز هدف: هذا الهدف هو الذي يعطي تبريرا للإيديولوجيات والتدرج الاجتماعي والأشكال الملموسة للحياة الاجتماعية لكل مجتمع. إذن إن ما يميز المجتمع الصناعي مقارنة بغيره من المجتمعات هو هذا الهدف المتمثل في "إنتاج الأشياء النافعة". ومن ثم فأصالة المجتمع الصناعي الكبرى تكمن في أن العلاقات الاجتماعية فيه هي بصفة مطلقة علاقات تعاون وليست علاقات سيطرة وتبعية: ومن الضروري

أن تظهر فيه أخلاق وثقافة جديدتين وأشكال قانونية جديدة. وفي هذا الإطار يقول "سان سيمون": "إن فرنسا أصبحت معملا كبيرا والأمة الفرنسية ورشة كبيرة" (9). وكل الطبقات "الطفيلية" (أي تلك التي ليست لها ارتباط بالإنتاج) ستزول. فالمجتمع كله سينتظم حول الإنتاج، وهو ما يتطلب بالضرورة تنسيق دقيق، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، لكل قطاعات الإنتاج. هذا التنسيق سيغير جذريا تصور ما هو سياسي وأشكال تجنيد الموظفين السياسيين: فالسياسة سوف لن تغدو مسألة آراء غريبة عن فعل الإنتاج وستصبح مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعملية الإنتاجية. أما قيادة السياسة فلا يمكنها أن تستمر بين أيدي النبلاء ورجال القانون أو العسكريون، بل ستعود بالضرورة إلى أحضان منظمي العمل الجماعي.

يقول "سان سيمون": "إن الهدف العام الذي يجب أن تقدموه للناس-محذرا أقرب اتباعه- هو تحسين الوجود الأخلاقي والمادي لأكبر طبقة من حيث العدد، وعليكم أن تنتجوا مركبا من التنظيم الاجتماعي يسهل الأعمال المتبعة لتحقيق هذا الهدف ويضمن أولويته على بقية الأهداف مهما كانت تبدو لكم أهميتها. ومن أجل تحسين ظروف الطبقة الأكثر فقرا في أسرع وقت ممكن فإن أفضل فرصة يقدمها وضع يكون فيه من الضروري إنجاز أعمال كبرى والتي بدورها تتطلب تطور فكري كبير. وبإمكانهم خلق هذا الوضع. إننا أصبحنا نعرف أبعاد الكرة الأرضية: اعملوا على أن يرسم العلماء والفنانون ورجال الصناعة مخططا عاما لأعمال تتجه لتحقيق الاستيلاء على أراضي من طرف الجنس البشري الأكثر إنتاجا في كل الاتجاهات" (10).

ومع ذلك فإن التيار السان سيموني يستحق أكثر من مجرد وقفة فضول للتذكر. فقد انخرط جانب من أتباع "سان سيمون" بهمة في مشروعات ضخمة (تطوير السكك الحديدية، شق قناة السويس) أو وضعوا خططا استنباطية (وخصوصا في الجزائر) تشهد على إرادتهم الطموحة في تنظيم العالم" (11).

بعبارة أخرى، المجتمع الصناعي يحمل بداخله حسب سان سيمون بذور التنظيم الاجتماعي على المستوى الكوني وهو يقوم على التعاون ويتجه نحو سعادة النوع البشري في حد ذاته (12). ومن جهتنا نقول أن هذا الفكر برر الفكرة والعمل الاستعماري.

وفيما يتعلق بالنقطة المشتركة بين "سان سيمون" و"كونت" فهي مسألة السلام والحرب بين المجتمعات الصناعية.

يرى الكاتبان أن المجتمع الجديد يتميز بالغياب الكامل للنزاع الحربي كما أنه لا يضم بين أعضائه أشخاص هذا الصراع. فهما يتوقعان وحدة الإنسان التاريخي مع الإنسان العام وزوال الخصوصيات الوطنية لصالح الإنسانية. وذلك سواء من حيث القانون الذي يحكم التطور التاريخي ومضمون الروح الوضعية ونمط التنظيم الاجتماعي الملائم، أو من حيث متطلبات الإنتاج نفسها فالحروب ستزول تماما في المستقبل (13).

وفي الأخير نقول إن خلاصة التطور التاريخي لهذا الخط الفكري (الطبيعة السلمية للمجتمع الجديد) سنجدها في كتابات علماء آخرين وبخاصة في المدرسة "الدوركايمية".

4- هربرت سبنسر (1820-1903)

تعد تصورات "سبنسر" في جانب كبير منها، خاصة التي تدور حول المجتمعات الحربية والصناعية ووظيفة الدولة التي عبر عنها في كتابه " The Man Versus the state" ومحتويات قانونه حول التطور الاجتماعي تصورات تدخل بشكل واضح في هذا المجال من البحث موضوع الدراسة. ويمكننا التذكير في هذا السياق بالعناصر التي استخلصها "فرانكلين جيدنجز" بوصفها عناصر أساسية في علم اجتماع "سبنسر"، حيث حظيت هذه العناصر بالقبول الصريح من طرف كاتبنا، وهي:

1- يظهر الخوف من الأحياء والأموات في ظل الصراع من أجل البقاء. فالخوف من الأحياء إذا أضفنا له الصراع من أجل البقاء مصدر الرقابة السياسية. والخوف من الأموات يصبح مصدر الضبط الديني.

2- الصراع المألوف، المنظم والموجه من طرف المراقبة السياسية والضبط الديني يتحول إلى نزعة عسكرية والتي بدورها تنمط الطباع والسلوك والتنظيم الاجتماعي وتكيفه مع الحرب المألوفة.

3- تضم النزعة العسكرية الجماعات الصغيرة إلى جماعات أخرى أكبر منها. وهذه الجماعات الكبيرة إلى جماعات أكبر. أي الحركة من المجتمعات البسيطة إلى المستويات المختلفة من المجتمعات المركبة. فالمجتمع المركب انبثق من المجتمع البسيط، ومركب المركب عن المركب ومركب مركب المركب عن مركب المركب. وبهذا الشكل يتحقق التكامل الاجتماعي. فهذه العملية توسع المجال الذي يعيش عليه جانب من السكان الذي يتزايد بالتدريج، هي عملية سلمية مألوفة وهي تستخدم في الصناعة.

4- هذا السلام المألوف مضافا إلى الصناعة يشكلان كلا ينمط الطباع والسلوك والتنظيم الاجتماعي بتكييفه مع الحياة السلمية تسودها المحبة والمودة.

5- في نموذج المجتمع السلمي يقل العمل المشترك وتزداد العفوية والمبادرة الفردية وبالتالي يصبح التنظيم الاجتماعي أكثر مرونة يتحرك فيه الأفراد بحرية من مكان إلى آخر ويغيرون فيه علاقاتهم الاجتماعية دون تحطيم الانسجام الاجتماعي الذي يتكون من عنصري المودة والاعتراف بدلا من القوة البدائية (14).

5- إميل دوركايم (1855-1917)

بما أن هذا العمل ليس هو المقام الملائم لعرض منظم للنسق النظري الدوركايمي، فإن تحليلنا سيقتصر على التذكير بالعناصر المركزية لهذا النسق التي نعتبرها ضرورية لفهم النصوص التي عالج فيها دوركايم، وبشكل واضح تصوره للأحداث الدولية لتلك المرحلة. ومن أهم هذه النصوص نذكر تلك التي خصصها للحرب العالمية الأولى.

يتشكل محور النظرية الدوركايمية للتطور الاجتماعي من الازدواجية المفاهيمية: التضامن الآلي والتضامن العضوي.

ويعتمد التضامن الآلي على التماثل بين أعضاء المجتمع، بينما يستمد التضامن العضوي من التباين... وحيث يسود في المجتمع تضامن آلي، يتميز الضمير الجمعي بقوة ملحوظة... ويكتسب هذا الضمير العام واقعا ملموسا... ومزيدا من القوة والتأثير والاستقلال، حينما يتحقق نوع من التماثل الواضح بين أفراد المجتمع... ولعل هذا هو الموقف السائد في المجتمعات التقليدية... ويصاحب نمو تقسيم العمل في المجتمع ظهور التضامن العضوي. فتقسيم العمل وما يترتب عليه من تباين بين الأفراد، يعمل على تدعيم نوع من التساند المتبادل في المجتمع... وكلما ازداد هذا التضامن رسوخا، قلت أهمية الضمير الجمعي (15).

ومن السهل إسقاط هذا المخطط على ميدان العلاقات بين مجتمعات متباينة. فالاعتماد المتبادل والتعاون الموجودين على المستوى الداخلي هما موجودين كذلك بين الوحدات الوطنية. فكل وحدة ليس لها فقط الحق، بل ضرورة البحث عن استقلالية ولكن ذلك يؤدي في نفس الوقت إلى الاعتراف بنفس الحق لبقية الوحدات التي ترتبط كلها عن طريق الاعتماد المتبادل. وهكذا يظهر من المخطط الدوركايمي فرضية نمو وظيفة وحدات اجتماعية في جماعات أكثر اتساعا.

وقد طبق دوركايم هذا الجهاز المفاهيمي على الحوارات المعتادة في ذلك العصر، حول الوطنية والدولية ووظيفة الأمة والمثقفين وجوهر الديمقراطية. من بين هذه الحوارات الأكثر تعبيرا تلك التي دارت حول التساؤل التالي: ما هي أسباب الحرب العالمية الأولى ؟

ولقد خصص دوركايم لهذا الموضوع نصين غير معروفين لدى معظم الباحثين الذين يقرؤون ويكتبون باللغة العربية حسب علمنا، تم نشرهما في سنة 1915 (16) ، إلا أن هذين النصين يختلفان بوضوح من ناحية البناء النظريو فيما يلي نستعرض مقتطفات منهما:

أ- عنوان النص الأول: **من أراد الحرب؟: جذور الحرب حسب الوثائق الدبوماسية.**

يقول فيه دوركايم:

"إن الحرب الحالية، مثلها مثل كل الأحداث التاريخية ترجع في جانب كبير منها لأسباب عميقة وبعيدة. وبالتالي على المؤرخين أن يبحثوا فيما بعد عن الظروف الديمغرافية والاقتصادية والعرقية التي تبدو منذ مدة أنها ضاعفت من حالات الصراع بين الشعوب، وكيف أن الوضعية الخطيرة للإمبراطورية المجربة-النمساوية وتطور المجتمعات البلقانية، واحتفاظ بعض القوميات بوعي واضح بذاتيتها. كيف أنها جميعا ستحدد تعديلا على الخريطة في المستقبل القريب. وأخيرا كيف نتج عن كل ذلك حالة من الاضطراب والقلق هيأت الظروف للحرب".

إلا أنه بعد هذه التصريحات الأولية يؤكد مباشرة بقوله: "مهما كانت أهمية هذه الأسباب فإنها غير فعالة في حد ذاتها. فلكي تحدث آثارها، يكفي أن تكون هناك إرادة إنسانية تعمل على تنشيطها. فلكي تندلع الحرب يكفي أن تريدها دولة ما، والتي عليها تقع مسؤولية هذه الحرب" (17).

فموضوع هذا النص هو إذن التعرف عن المتسبب في اندلاع المواجهات بل

الأكثر من ذلك يتلخص الموضوع على طول الصفحات فيما يلي:

في الكتاب الأبيض الذي نشرته الدولة الألمانية تم التأكيد فيه على أن مسؤولية اندلاع الحرب تتحملها روسيا. إلا أن دوركايم باعتماده على وثائق دبلوماسية نشرتها دول أخرى أطراف في النزاع (18)، حاول أن يبرهن بأن ألمانيا وحدها من تتحمل تلك المسؤولية. فمن خلال تحليله للأحداث التي جرت ما بين 23 جويلية و 03 أوت 1914، يؤكد بأنه: "لا يوجد أي تطابق بين السياسة الألمانية على أرض الواقع وبين تصريحاتها: ففي الوقت الذي كانت تعلن فيه عن رغبتها في الدفاع عن السلم كانت ترفض كل الإجراءات المقترحة عليها لتحقيق هذا الهدف بل إنها لم تقدم أي بديل عن تلك الإجراءات" (19).

نلاحظ من التحليل السابق أنه مفعم بحب كبير لفرنسا وحلفائها. فتفكير "دوركايم" هنا يبدو أنه يصف حلقة من الصراع بين الخير والشر والإدانة المطلقة للشر هي النتيجة التي لا مفر منها. فهو يقول:" لا يوجد في ممارسة وسلوك ألمانيا ولا حركة واحدة جدية لمصلحة السلام، بالعكس لقد كانت كل الممارسات التي وجهت الأزمة نحو الحرب إما أنها رغبت فيها مباشرة أو أنها تمت بتدعيم منها " (20).

يوضح لنا دوركايم من خلال هذه الفقرة حسه الوطني أكثر من توضيحه لأسباب الحرب.

ب- <u>عنوان النص الثاني</u> هو: **"العقلية الألمانية والحرب"** من البداية يبدو لنا أن مشروع هذا النص أكثر طموحا من النص الأول. يقول الكاتب فيه: "إن الهدف الرئيسي لهذه الدراسة هو تحليل ألمانيا انطلاقا من الصورة التي رسمتها الحرب عنها. لقد تحدثنا من قبل عن عدوانيتها وعن إرادتها الحربية وعن عدم احترامها للقانون الدولي وقانون الأشخاص وعن لا إنسانيتها وعن بشاعتها المطلقة. ولكن هذه المظاهر المتعددة للروح الألمانية، رغم تنوعها هي من أصل واحد. إنها مجرد تعبير عن عقلية". ثم يضيف: "إن أصل هذه الأفعال هو هذا النسق من الأفكار والعواطف التي نقترحها للدراسة والذي ينبثق عنه نظام أخلاقي وعقلي، وبما أن بناؤه قد تم بنظرة ملقاة على الحرب فإنه لم يصل إلى الضمائر خلال السلام. فوجوده وخطورته لم يكن أمرا مجهولا ولكن تقدير تأثيره وانتشاره لم يدرك سوى بعد أن اندلعت الحرب" (21).

إذن فتحليل هذه "العقلية" هو المستوى الأول من الخطاب الدوركايمي. وبعد أن يشرح بداية وتطور الحرب انطلاقا من هذا التحليل الأول. وفي الأخير ينتهي بفحص حول "الطابع العدواني والخطير لهذه العقلية" وحول إمكانياتها بالاعتماد على الخصائص الأخلاقية والمادية للمجتمعات الحديثة ذات الوجود المستقبلي.

وقد حاول "دوركايم" تحديد مضمون "العقلية الألمانية" من خلال دراسة نص "تريتشكي" (Treitschke): إنه تفكير جماعة أكثر منه تفكير شخص واحد" (22). الموضوع المركزي هو تصور الدولة و"القوانين" الدولية بين الدولة والأخلاق وبين الدولة والمجتمع المدني.

ويشير "الكاتب" في المظهر الأول أن السيادة التي تعطى عادة للدولة ليست مطلقة

،فالدولة تخضع لجملة من القوى الأخلاقية التي لها طابع فعال واقعي رغم أن ليس لها تنظيم قانوني دقيق. ومنها المعاهدات التي أمضتها الدولة، والإلتزامات التي قدمتها والأفكار الأخلاقية الواجب احترامها ورأي مواطنيها ورأي أعضاء مجتمعات أخرى، مقابل ذلك يلاحظ "دوركايم" أن تريتشكي يؤكد ما يلي:

"الدولة مكتفية ذاتيا، فهي مطلقة"، "وعليها أن تحل بنفسها المسائل التي ترى فيها تهديدا لمصالحها المادية"، والحرب هي شكل العملية الوحيدة التي يمكن للدولة أن تعترف بها"، وبالتالي "فالحرب هي مقدسة وأخلاقية". "إن حلم السلام هو ليس فقط صعب التحقيق ولكنه فضيحة أخلاقية ولعنة كذلك" فالعظمة لا نبحث عنها في الثقافة ولكن في السلطة. فليس "فيزر" (Pfizer) أو "فخت" (Fichet) من صنعا ألمانيا ولكن اللذان صنعاها هما "غيارم الأول"(Guillerme 1er) وبيسمارك (Bismarck)، وبما أن مهمة الدولة هي العظمة وبما أن هذه تعني القوة فليس للدول الصغيرة أو الضعيفة الحق في الوجود..."، "ففي مفهوم الدولة الصغيرة ذاته شيء يدعو للابتسام والضعف في حد ذاته ليس فيه شئ يدعو للسخرية أما الأمر فيختلف عندما يبدو الضعف أن له قوة" (23).

وعندما ينتقل "دوركايم " لتحليل العلاقات بين الدولة والأخلاق يبدأ مؤكدا: "بصفة عامة هناك شئ أسمى من الدولة هو الأخلاق ،فالأخلاق تتكون من الأفكار فقط، ولكن هذه الأفكار هي قوى تحرك وتسيطر على الناس، هل يحدث ذلك مع الدولة ؟ فإن كانت الدولة تابعة للأخلاق، فهناك حدود لا يمكن أن تتجاوزها سيادتها، ولكن إن لم تكن تابعة لها فلن يكون لهذه الدولة أي شئ إنساني".

أما "تريتشكي" فيؤكد أنه "بالنسبة للإنسان الألماني لا يجب أن يكون هناك شيء فوق الدولة الألمانية وللدولة الألمانية واجب واحد هو أن تكون قوية". أما الأخلاق فهي مسألة أجناس وظروف: "في حياة الدول ،مثلما في حياة الأفراد، هناك أشياء كثيرة يستحيل فيها استخدام وسائل نظيفة"، والنتيجة هي أن: "رجل الدولة ليس لديه الحق في تسخين يديه على نيران أطلال أمته بقوله: "أنني لم أكذب أبدا، فالأخلاق هي شئ يتصف به الأشخاص الذين ينجزون أشياء قليلة فقط. وعندما يكون لدينا طموح لإنجاز أشياء عظيمة يجب أن نخرج عن الحدود الضيقة التي ترسمها الأخلاق. والدولة بطبيعتها هي مطالبة بأن تنجز أشياء عظيمة" (24).

ويمكن تلخيص التصريحات الأولى لدوركايم، عند تطرقه للنقطة الثالثة على النحو التالي: "إن كانت حقا توجد اختلافات بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة، فإنه من الخطأ التأكيد بأن الخواص ينشطون فقط لتحقيق مصالح خاصة. فباتحادهم وبترابطهم فيما بينهم، يتكون لديهم وعي بالجماعات التي يشكلونها من الجماعات البسيطة إلى الأكثر تعقيدا، ومن ثم تولد عواطف اجتماعية تعبر عنها الدولة وتحددها وتنظمها، ولكنها وجدت قبلها".

وبالتالي يضيف: "إن الشعب والدولة بالنسبة للمجتمع الديمقراطي ليسا سوى مظهرين لنفس الواقع. فالدولة هي الشعب الذي له وعي ذاتي به وبحاجياته وطموحاته ولكن له وعي بشكل كامل وواضح أكثر".

أما تصور تريتشكي، فمن الواضح أنه رفض هذه الأفكار نقطة بنقطة، حيث يقول :"المجتمع المدني ليست له أدنى وحدة ، فهو مليء بالتناقضات فلا يمكن ن يكون لديه أي وعي بذاته، فالمصلحة العامة والمصلحة الخاصة هما قوتين متضادتين، وفي مثل هذه الظروف لكي يتسنى لقوتين متناقضتين أن تتحدا يجب أن تفرض إحداهما نفسها على الأخرى. فالدولة هي التي يجب أن تمارس هذا الفعل الهام، ولكن لكي يفرض النظام الانضباط يجب وأن تكون الدولة قوية أي أننا نصل من جديد إلى واجب الدولة أن تكون قوية، وهو أسمى واجباتها. فالدولة التي لا تملك القوة لا يمكنها أن تحقق مهمتها" (25).

هذه هي الأفكار الرئيسية لهذه "العقلية الألمانية" التي فسر من خلالها دوركايم حرب 1914. فالدولة هي قوة فقط فهي لا تخضع لأي شئ. والدولة الألمانية لم يكن أمامها أي حاجز أخلاقي من أجل احترام الحياد البلجيكي واتفاقيات لاهاي، ولا من أجل الاعتراف بحق الشعوب في تقرير مصيرها بحرية ولا من أجل عدم تهديد الدول الصغيرة أو من أجل الاتجاه إلى الحرب.

ويقرر "دوركايم" بعد ذلك بأن هذه المبادئ الأخلاقية هي متعارضة مع المبادئ الأخلاقية للفرنسيين، فهو يقول: "بالنسبة لنا، أي، بالنسبة لكل الشعوب المتحضرة بالنسبة لكل الشعوب التي تشكلت في إطار المسيحية تهدف الأخلاق لتحقيق وإنجاز الإنسانية، ولتحريرها مما قد ينقص منها، والقول بأن على الدولة أن تكون صماء أمام المصالح الأساسية فإن ذلك يضعها في ما وراء وفوق الأخلاق" (26).

وهكذا فإن العقلية الألمانية تتعارض وأخلاق المجتمعات المتحضرة. وبالتالي فهي ضد الخطوط الأخلاقية السائدة . فالدولة لا يمكن أن تستمر عندما تكون الإنسانية ضدها. وهنا يقول دوركايم: "من أجل أن تحقق ألمانيا المصير الذي اختارته لنفسها، عليها أن تمنع الإنسانية من أن تعيش حرة، والحياة لا تقبل أن تبقى أسيرة إلى الأبد" (27).

هذا هو بصفة عامة مضمون النصين الذي حاول من خلالهما دوركايم تفسير أسباب حدث أعلن عن نهاية مرحلة تاريخية. ولا يصعب علينا تأكيد عدم علمية التفسير الذي يقترح رجل العلم وعلى تجذر الحس الوطني للمواطن دوركايم.

أما الآن فمن المهم أن نؤكد عدم قدرة المخطط التفسيري لتبرير تلك المجموعة من الأحداث. ففي الواقع لقد تحطمت الافتراضات النظرية لدوركايم أمام أعينه. فالمجتمع الشديد التباين والمجتمعات الحديثة، بعيدة من أن تكون خالية من التناقضات في بنيتها الداخلية كما في العلاقات القائمة فيما بينها، كانت تبدو في الطرف الآخر مما كانت تعلن عنه النظرية. فمع الحرب العالمية الأولى انتهت مرحلة حاملة معها شكل من التفكير الاجتماعي. فلم يعد ينظر للحداثة بصورة متفائلة. والفكر الوضعي للقرن XIX اصطدم بصلابة الواقع، والخيال واللاعقلانية أثبتا فعاليتهما التاريخية وأحلام "المثقف اللائكي" تناثرت أشلاء.

وكما يقول **"ستيوارت هوجس"(Stuart Hughes)** في وصفه لهذا التحول الجذري في العادات الفكرية: " تجدر الإشارة إلى أنه ابتداء من تلك الفترة وفي الوقت الذي بدأ

فيه التحليل السوسيولوجي يتجه نحو التخصص ونحو تنويع مواضيعه ومناهجه ونظرياته بدأ يبتعد عن الافتراضات ما وراء العلمية بهدوء نحو التقدم" (28).

6- ماكس فيبر (1894-1920)

إننا نعرف جيدا المكانة الهامة التي تحتلها مفاهيم مثل "السلطة" و"السيطرة" في الخطاب الفيبري. فالنظر للحياة الاجتماعية على أنها "صراع بين الآلهة" و"فوضى القيم" ما هي في نهاية المطاف سوى شئ آخر عن تأكيد الأهمية الكبيرة التي يحتلها الصراع والسلطة في نشاط المجتمعات الإنسانية (29). لذلك فإن تغطية كل عناصر الخطاب الذي يدور حول موضوع تحليل علاقات السيطرة سواء على المستوى الداخلي أو على مستوى ما بين مجتمعات متباينة يتجاوز تماما حدود صفحات هذا المحور. لذلك فالنقطة المرجعية الأساسية التي نتناولها هنا هي فقط تلك النصوص التي تعالج بشكل صريح العلاقات الدولية أو بصفة أدق، تلك التي يقدم فيها "فيبر" أدوات تحليلية تسمح بتحليل إمبريقي لأوضاع اجتماعية معينة، في هذا المجال فالنص الأساسي هو كتابه: "علم اجتماع الجماعات السياسية".

إن مضمون هذا النص هو فحص هذه العلاقات من منظور علاقات السيطرة. أي أن ما يهم "فيبر" أساسا من العلاقات بين الوحدات السياسية هي اتجاه بعضها إلى فرض نفسها على البعض الآخر، إلى السيطرة وإلى التوسع على حساب الجار. بعبارة أخرى فإن خطابه ينحرف نحو سبب تحليلي للإمبريالية وبالضبط نحو الارتباطات بين الإمبريالية والرأسمالية.

يحلل فيبر على التوالي مجموعتين كبيرتين من الأسباب:أسباب الاتجاه التوسعي السياسية والاقتصادية.

1- الأسباب السياسية

نظم "ماكس فيبر" تحليل هذا الموضوع حسب السلسة المفاهيمية التالية: الطابع التوسعي للأشكال السياسية، الهيبة وديناميكية السلطة. وفي هذا المجال يقول فيبر:" كل الأشكال هي تنظيمات من القوة. ولكن الطريقة والنسبة التي تمارس بها أو يهدد بها في استعمال القوة نحو الخارج، ضد تنظيمات أخرى مماثلة، تلعب دور خاص في بنية ومصير المجتمعات السياسية" (30).

ومن ثم، فإنه يميز بين أشكال سياسية "مستقلة" وأخرى "توسعية" حسب قوة أو ضعف اتجاهها نحو الخارج. فكل سلطة تحمل بداخلها وجود "هيبة" والتي تعني حسب فيبر "شرف ممارستها (السلطة) على بنى اجتماعية أخرى، أي اتساع السلطة" (31).

من هنا نستنتج أولا أن كل مجتمع سياسي يرغب في أن يكون له جيران أضعف منه، وهؤلاء بدورهم يرون في جارهم القوي خطر على وجودهم، وثانيا أنه يوجد بين أهم المجتمعات السياسية اتجاه للسباق نحو الهيبة. وهذا هو المضمون الذي يعطيه فيبر للمفهوم الثالث (ديناميكية السلطة)، والنتيجة الهامة المرتبة عن ذلك هي أن "القوى الكبرى هي تنظيمات من نوع توسعي، أي أنها تنظيمات تهدف من خلال القوة أو

التهديد بها إلى توسيع المجال الذي يوجد به المجتمع السياسي ذاته" (32).

وتؤثر البنية الداخلية للجماعة السياسية بطريقتين على التجسيد الفعلي لهذا الاتجاه العام. تسعى الجماعات الاجتماعية المعنية بالمحافظة على البنية الداخلية للسلطة القائمة تسعى لإعطاء أولوية لروع "الهيبة" وتنميتها، والشيء الوحيد الذي يقف أمام هذه الجماعات يكمن في إمكانية تقلص المغالاة في هذه الاتجاهات التوسعية تؤدي إلى إحداث تعديلات في توزيع السلطة وإلى فقدان موقعها الإيجابي في السيطرة. ويذكر فيبر حالة السلطة البيروقراطية المخيفة لجنرال حولته بطولاته إلى قائد كاريزماتيكي. ومن جهة أخرى فبإمكان الأفراد والجماعات الذين يحتلون مركزا طبقيا تمارس عليه السيطرة أن يشعروا باللامبالاة تجاه دوافع توسعية محتملة ضدهم من طرف من يسيطرون. ولكن التوجه السياسي للتوسع قد يغير اتجاهه عند تدخل المتغيرات الاقتصادية" (33).

2- الأسباب الاقتصادية

عند شروعه في تحليل الأسس الاقتصادية للتوسع والإمبريالية، يرفض فيبر الاقتراح القائل بأن التبادل التجاري قد يكون دافعا للتوسع السياسي. وهو افتراض صادق في بعض الحالات ولكن لا يمكن تعميمه بأي حال من الأحوال. ويضيف:"على أية حال إن النشاط التجاري لم يرسم بأي شكل من الأشكال الطريق إلى التوسع السياسي"(34).

فبالنسبة لفيبر فإن البنية الاقتصادية هي الأهم. وهنا نجده من جديد يقابل اتجاهين متعارضين بين الجماعات الاجتماعية التي تحتل أوضاعا إيجابية في السيطرة، حيث وجد في مبدأ "المردودية" العنصر الذي يصلح لكي يسيطر اتجاه أو آخر. فكل أولئك الأفراد وتلك الجماعات التي تستفيد اقتصاديا من التوسع هم موالون له. وذلك إما لأنهم من سيستغلون مباشرة المجتمع الذي يتم غزوه وإخضاعه وإما لأنهم سيستفيدون من الحرب ذاتها (صانعوا الأسلحة... الخ). أما المعارضين للاتجاهات التوسعية بصفة عامة هي تلك الجماعات الاجتماعية التي "تكون احتمالات الربح بالنسبة لها موجهة نحو قطاع التبادل السلمي والذي هو ليس خاضعا لأي احتكار ، على الأقل لا يخضع للاحتكار بواسطة القوة السياسية" (35). وهنا كذلك يمثل من يحتلون موضع طبقي لا يمكنهم من خلاله الحصول على الربح عن طريق التوسع قوة اجتماعية معارضة له.

وفي هذا الإطار العام ما هي المكانة التي تحتلها البنية الاقتصادية الرأسمالية الغربية؟ بمعنى آخر هل أن هذه البنية في حد ذاتها تؤدي إلى الإمبريالية، أم بالعكس أنها تسعى للربح من خلال "التبادل السلامي ؟" وللإجابة على ذلك من الضروري التذكير بالتصنيف الذي وضعه فيبر لاتجاه الرأسمالية نحو الربح. ومن بين الأنماط الستة التي يصفها، يحدد نمطين خاصين بالغرب هما:

1- أ- توجه باحتمالات المردودية التي تتحقق من خلال شراء وبيع البضائع في سوق حرة (تجارة)، أي اتباع نوع من التبادل هو ليس مفروض رسميا وهو على الأقل إرادي من الناحية المادية.

ب- توجيه باحتمالات المردودية التي تتحقق عن طريق استغلالات مخصصة لإنتاج

الخيرات.

2- توجه باحتمالات الربح عن طريق إحدى الأوضاع التالية:

أ- تبادلات في شكل مضاربات في مواد منمطة أو قيم تمثل مشاركة في مؤسسة

ب- تسيير دائم لمستحقات الدفع للجمعيات العمومية

ج- إنشاء مؤسسات عن طريق بيع قيم للمستثمرين

د- تمويل متزايد لمؤسسات رأسمالية ولجمعيات اقتصادية من كل الأصناف ذات أهداف سلطوية أو لتنظيم مردوديتها.

مقابل هذين النوذجين الكبيرين يشير "فيبر" إلى: التوجه باحتمالات الربح عن طريق جمعيات سياسية معينة أو جمعيات موجهة سياسيا (تمويل الحروب أو الثورات وتمويلات مقدمة لرؤساء الأحزاب عن طريق قروض). والتوجه باحتمالات الربح الدائم الذي يتيح وضع سيطرة تضمنها السلطة السياسية (ذات طابع استعماري أو جبائي) التي رغم أنها تضرب في جذور التاريخ بآلاف السنين والتي يمكن توضيحها بعدة أمثلة، قد وجدت في الغرب (الرأسمالي) فقط وذلك "بشكل محلي ومؤقت" (36).

بقي أن نشير إلى أن القراءة الأولى للنصوص الفيبرية تخلق شعورا بغموضها. فالقارئ قد يجد نفسه وسط بحر من الغموض نتيجة لتعدد التمييزات وتنوع المفاهيم وكثرة الأوصاف. ولكن يجب أن نشير من جهة أخرى وبشكل عام، بما أن التحليل السابق يوجهنا إلى خصوصيات الإبستمولوجيا الفيبرية إلى التوضيحين التاليين: الأول هو أن المفاهيم الفيبرية لا تسعى لأن تكون انعكاسا للواقع ولكنها تدل فقط على الأوجه الأكثر دلالة من هذا الواقع من وجهة النظر المتبعة. والثاني هو أنه يجب قراءة الخطاب الفيبري انطلاقا من المفهوم الأساسي لقوانين توجيهية وليس من العلاقات السببية الضرورية لأنه يحاول تفادي هذه القوانين بالذات وذلك لكي يحتفظ بعنصر الصدفة وعدم التوقع.

وإن أردنا تلخيص التحليل الفيبري السابق نقول: أن الدولة الوطنية بوصفها وحدة سياسية فإنها تسعى إلى التوسع وأن سرعة أو بطء هذا التوسع تتوقف على بنيتها الداخلية.

7- جوزيف شومبتر (1883-1950) (Joseph Schumpeter)

من المهم في الأخير تسجيل نوع غير منتظر من التصور السلامي للمجتمع الصناعي الحديث. إننا نقصد بذلك النظريتين اللتين قدمهما "شومبتر" في مقالتين سنة 1914 وتم نشرهما في عمل موحد باللغة الإسبانية سنة 1965 تحت عنوان "الإمبريالية والطبقات الاجتماعية" (37). يقول الكاتب:

"إن الإمبريالية تتوغل في كل هذه المجموعة المستمرة في الوجود منذ العصور القديمة والتي تلعب دورا هاما في كل وضعية اجتماعية ملموسة. بعبارة أخرى إن الإمبريالية هي عنصر يرتبط بشروط وجود الماضي وليس الحاضر، أو وفقا لتعبير التفسير الاقتصادي للتاريخ إنها ترتبط بشروط الإنتاج القديمة وليست الحالية. فهي ترتبط بالبنية الاجتماعية وبالعادات الفردية والنفسية لرد الفعل الوجداني، وبما أن

الحاجات الحيوية التي أوجدتها قد زالت لحسن الحظ، فيجب أيضا أن يؤدي ذلك إلى إزالتها تدريجيا، رغم أن كل وضع حربي، حتى وإن كان ذا طابع غير إمبريالي، فإنه يؤدي إلى إحياء الإمبريالية" (38).

إلا أن هذه الخلاصة في هذه الحالة ليست ناتجة عن تحليل البنية الاجتماعية للمجتمعات المعاصرة ولكن عن تطبيق أدق معايير الحساب الاقتصادي لنشاط هذه المجتمعات الذي ما هو في نهاية المطاف سوى وجه من العقلانية الوضعية للقرن التاسع عشر. وبالفعل يمكن تلخيص تفكير "شومبتر" في هذا المجال على النمو التالي: على المدى البعيد فإن المداخيل التي تتحصل عليها الطبقات المسيطرة في المجتمع الصناعي عن طريق الحرب تكون أقل من النفقات المترتبة عن السلوك الحربي، علما أن هذه الطبقات هي التي تغذي الحرب، ذلك أن حسب النظرية فإن العمال الصناعيون هم مناهضون للإمبريالية.

وفي هذا السياق يقول الكاتب: "في ظل اقتصاد التغير من الطبيعي أن تعود الحرب بالربح اقتصاديا على عدد كبير من الناس. فالوضع هنا شبيه إلى حد كبير بمسألة الرفاهية. إن الحرب تعني طلب متزايد وأسعار خيالية للسلع حيث تتحقق فيها أرباح عالية وأجور مرتفعة كذلك في كثير من قطاعات الاقتصاد الوطني. وذلك يؤثر قبل كل شيء على المداخيل النقدية ولكن بصفة عامة (ولو بدرجة أقل) فإن المداخيل الحقيقية تتأثر هي الأخرى. فتوجد مثلا مصالح خاصة في الحرب، مثل صناعة الأسلحة. فإذا ما استمرت الحرب بما فيه الكفاية فإن حلقة من يستفيدون نقديا تتسع أكثر فأكثر باستثناء حالة تضخم الأوراق النقدية. فيمكن أن تتسع لتشمل كل قطاعات الاقتصاد ولكن في المقابل فإن الخيرات التي تؤدي إليها تلك الزيادة في المداخيل تتناقض تدريجيا إلى أن تحدث ندرة حقيقية للخيرات. ونتيجة للاستهلاك المفرط الناجم عن الحرب يصبح ميزان الاقتصاد الوطني خاسرا. وهنا يمكن أن يحقق الرأسماليون أو حتى طبقات عمالية محددة امتيازات بوصفها طبقة [...] ولكن هذه الامتيازات لا يمكن أن تكون امتيازات كبيرة لأنها تجد نفسها، في كثير من الأحيان مثقلة بالتكاليف التي تفرضها الحرب والخسارة في الخارج. وبالتالي فربح الرأسماليين كطبقة لا يمكن أن يكون دافعا لتبرير الحرب. وهناك قلة ممن بإمكانهم التأكيد بأن هذا العنصر هو كافي لتوجيه العالم الرأسمالي نحو الإمبريالية. فوجود مصلحة في التوسع قد يحول الرأسماليين إلى حلفاء لمن لديهم اتجاهات امبريالية" (39). وباختصار شديد ففي عالم رأسمالي في الأساس لا يمكن أن يوجد مجال لدوافع امبريالية (40).

مما سبق نلاحظ أن المسألة تم تغييرها جذريا، فمن جهة فإن النظام الاقتصادي الذي أفرزته الثورة الصناعية الرأسمالية هو نظام خال من الميولات الحربية، ومن جهة أخرى فإنه لا ينفي وجود تلك الميولات والاتجاهات التي تفسر إما انطلاقا من اضطرابات نفسية (عادات عدوانية) أو من خلال استمرار وجود جماعات اجتماعية لها ميولات للحرب ولها فيها مصالح (النبلاء وأصحاب الأراضي الفلاحية).

ومجمل القول أن "شومبتر" يقدم لنا أذكى بديل بورجوازي للتحليل الماركسي الكلاسيكي للإمبريالية، وبالتالي فقد أصبح طرحه قاعدة انطلق منها اتجاه نظري أدى

إلى ظهور التصورات التي سادت في الثمانينات من القرن الماضي حول الإمبريالية بوصفها ظاهرة سياسية (41). فمن بين كل علم الاجتماع السابق للحرب العالمية الأولى فإن مخطط "شومبتر" وتصوره يعد الأكثر تأثيرا على بعض المواقف العلمية السائدة خلال النصف الثاني من القرن العشرين.

الخاتمة

رأينا في هذا المقال أن رواد علم الاجتماع قد عالجوا في كتباتهم تصوراتهم لما كان يحدث فيما وراء حدودهم الوطنية من أحداث وظواهر. فابن خلدون مثلا قدم لنا تصوره للحرب وأنواعها وأما أوجست كونت، وسان سيمون، وهربرت سبنسر، وإميل دوركايم، وماكي فيبر. فقد حاولوا تبرير الطابع السلامي للمجتمع الجديد الذي ظهر في أعقاب الثورة الفرنسية والثورة الرأسمالية الصناعية. وأخيرا اكتشفنا أن جوزيف شومبتر، وهو عالم اجتماع وعالم اقتصاد كان أكثر واقعية في تناول الظواهر الدولية من ثنائية السلام والحرب التي عبر عنها من خلال تصوره للإمبريالية.

قائمة المراجع

1- Scheler Max, Sociologia Del Saber, Trad. de José Gaos, Luna, Buenos Aires (Argentina), 1973, pp.205-206.

2- عبد الرحمان ابن خلدون: مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط03، المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967.

3- نفس المرجع، ص ص 479-480.

4- Ignacio Sotelo, Op. Cit, p.38.

5- نيقولا تيماشيف: نظرية علم الاجتماع، القاهرة، دار المعارف، 1974، ص ص 47-48.

6- نفس المرجع، ص. 59.

7- Compte Auguste, Discurso sobre el espiritu postivo, trad. de Consuelo Berges, Coll. Grandes Pensadores (53), Madrid, 1984, p.75.

8- Pierre Anssart, Sociologie de Saint-Simon, Dalloz, Paris, 1970, p.152.

9- Ibidem, p.157.

10- Saint Simon, Oeuvres, T.3, Anthropos, Paris, pp. 121-124.

11- Sebastien Charlety, Histoire du saint-simonisme, Hartmann, 1931, Gonthier, 1965, dans le livre de poche, Coll. Médiations.

نقلا عن: ميرل مارسيل : سوسويولوجيا العلاقات العامة، القاهرة، دار المستقبل العربي، 1985. 90.

12- Fourrier Charles, Nuevo Mundo Amoroso, trad. de Daniel de la Iglesia, Alianza, Madrid, 1975, p. 103.

13- Ibidem, p. 127.

14- هذه الخصائص، إضافة إلى خصائص أخرى أقل أهمية بالنسبة لهدفنا، قد تم شرحها من طرف:

Franklen H. Giddins, Studies in theory of human society, 1922.

والتي نقلها:

Carlos Moya, Teoria sociologica, Taurus, Madrid, 1971, pp.265-277.

15- نيقولا تيماشيف: نظرية علم الاجتماع، ط.3، القاهرة، دار المعارف، 1974، ص.ص. 172-173.

16- هذين النصين تمت ترجمتهما إلى اللغة الأسبانية في نفس السنة (1915)، وقد اعتمدنا على الترجمة الأسبانية في اقتباساتنا،النصان هما:

a/ Quién ha querido la guerra ? los origenes de la guerra segun los documentos diplomaticos;

b/ Alemania por encima de todo. La mentalidad alemana y la guerra.

وهما موجودين في:

Luis, Rodriguez-Zuniga, "Emile Durkheim: su concepcion del estado y la primera mundial", R.E.O.P, 32 (1973) , pp. 32-109.

17- Quién ha querido la guerra ? Ibidem, pp. 33-34.

18- روسيا (الكتاب البرتقالي)، فرنسا (الكتاب الأصفر)، بلجيكا (الكتاب الرمادي نجلترا (مراسلة الحكومة البريطانية حول الحرب) انظر:

Marc Ferro, La gran guerra, 1914-1918 : trad. de Soledad Ortega, Alianza, Madrid, 1970.

19- Quién ha querido la guerra ? Op. Cit., p. 34.

20- Ibidem, p. 61.

21- Alemania por encima de todo, Op.Cit., p. 70.

22- Ibidem, p. 75.

حسب "أدولفو بوسادا" كان "تريتشكي"، وهو مؤرخ ، يتمتع بامتياز خاص . فأفكاره تقبل كحقيقة من طرف الشعب الذي كان يكتب له انظر:

Posada, Adolfo : la idea del Estado y la guerra europea, Tecnos, Madrid, 1975, p.17.

23- Alemania por encima de todo .Ibidem, p.p. 76-82.

24- Ibidem, p.p. 83-86.

25- Ibidem, p.p. 89-92.

26- Ibidem, p. 95.

27- Ibidem, p. 101.

28- Hughes, Stuart, Conciencia y sociedad, Alianza, Madrid, 1973, p. 18.

29- Moya Carlos, Sociologos… Op.Cit., pp. 113-144.

30- Weber Max, Economia y sociedad.Esbozo de sociolgia comprensiva, Trad. de José Medina echevarria y otros T.II, 5e ed, Mexico, p. 668.

31- Ibidem, p. 669.

32- Ibidem, p. 670.

33- Ibidem, P. 671.

34- Ibidem, p. 672.

35- Ibidem, p. 676.

36- حول المعنى الذي يعطيه "فيبر" لمفهوم الرأسمالية الغربية، انظر:

Weber Max, La etica protestante y el espiritu del capitalismo,Trad. de Luis Legaz lacambra Orbid, Barcelona, 1985,coll. Biblioteca de politica, Economia y sociologia (3), pp. 41-80.

37- الاقتباسات الواردة في بحثنا الراهن هي من الترجمة الإسبانية:

Schumpeter Joseph A., Imperialismo y clases sociales, trad. Fabian Estape Alianza, Ed. Madrid, 1965.

38- Ibidem, p. 99.

39- Ibidem, p.p. 110-111.

40- Ibidem, p. 104.

41- هذا التصور خارج عن إطار هذا الدراسة. □